

بيان ذكر صفة الرعد والبرق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال -رحمه الله تعالى- في صفة الرعد والبرق: قال: حدثنا إسحاق بن أحمد الفارسي قال: حدثنا ابن أبي سريج قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا عبد الله بن الوليد عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: { أقبلت يهود إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا أبا القاسم ! إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتهن عرفنا أنك نبي وأنبأناك. قالوا فأخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار ليسوق بها السحاب حيث شاء الله، قالوا: فما الصوت الذي نسمع فيه؟ قال: زجره السحاب، إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر. قالوا صدقت { . قال: حدثني خليل بن أبي رافع قال: حدثنا جدي، قال: حدثنا محمد بن يزيد عن جوير عن الضحاک رحمه الله تعالى: { وَتَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ { قال: ملك يسمى الرعد وصوته الذي تسمع تنسيحه، قال: حدثنا إبراهيم قال: حدثنا الأشج قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن ابن أشوع عن ربيعة بن الأبيص عن علي رضي الله عنه قال: البرق مخاريق الملائكة. قال: حدثنا عمرو بن سعيد قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عمرو بن محمد قال: حدثنا أسباط عن السدي عن بشير بن أبي ميمونة قال: سمعت عليا رضي الله عنه سئل عن البرق؟ فقال: مخاريق من نار بأيدي ملائكة السحاب، يجرزون به السحاب. قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا بشير - يعني: ابن سليمان - قال: حدثنا أبو كثير قال: كنت عند أبي الجلد فجاء رسول ابن عباس رضي الله عنهما بكتاب إليه فكتب إليه: كُتبت تسأل عن الرعد والبرق، فالرعد: الريح، والبرق: الماء. قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان الثوري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: { تَرِيكُمْ التَّرْقُوقًا وَطَمَعًا { قال: خوف للمسافر، وطمع للمقيم. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا ابن أبي الثوراب قال: حدثنا أبو عوانة عن موسى الزبار عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: الرعد كما يسوق الحادي الإبل. فإذا خالفت سحابة صاح بها فإذا اشتد غضبه تناثرت من فيه النيران وهي الصواعق التي رأيتم. قال: حدثنا أحمد بن عمر قال: حدثنا الحسين بن الأسود قال: حدثنا أبو أسامة عن عبد الملك بن الحسين عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الرعد ملك يحذو بزجر السحاب بالتنسيخ والتكبير. قال: حدثنا أحمد بن عمر قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو سلمة الباهلي قال: حدثنا معتمر عن أبيه عن أبي عمران الجوني قال: إن دون العرش بحورا من نار تقع منها الصواعق. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر قال: حدثنا عبد الله قال حدثنا أبو بكر بن أبي طالب قال: حدثنا علي بن عاصم عن جوير عن الضحاک عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: البرق ملك يتراعى. قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني إبراهيم بن راشد قال: حدثنا أبو ربيعة قال: حدثنا حماد عن عبد الجليل بن عطية عن شهر بن حوشب رحمه الله تعالى قال: قال: كعب رحمه الله تعالى الرعد ملك يزجر السحاب زجر الراعي الحثيث الإبل فيضم ما شذ منه والبرق تصفيق الملك للبرق وأشار حماد بيده لو ظهر لأهل الأرض لصعقوا. قال: حدثنا أحمد بن عمر قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن عامر قال: أرسل ابن عباس رضي الله عنهما إلى أبي الجلد يسأله عن السماء من أي شيء هو وعن البرق والصواعق؟ فقال: أما السماء فإنها من ماء مكفوف، وأما البرق فهو تلالاً الماء وأما الصواعق فمخاريق يزجر بها السحاب. قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا خالد بن خداس قال: حدثنا علي بن راشد التميمي قال: بينا سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى واقف بعرفة ومعه عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إذ رعدت رعدة فجزع منها سليمان حتى وضع حده على مقدم الرجل فقال له عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذه جاءت برحمة فكيف لو جاءت بسخطه. قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن الربيع الأسدي قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن العذري قال بينما عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بعرفة إذ صعقت رعدة ثم برقت، ثم أرخت أمثال العزالي قال: فرجع سليمان رأسه إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فقال: هذا والله السلطان فقال له عمر يا أمير المؤمنين إنما سمعت حسن الرحمة فكيف لو سمعت حس العذاب قال: فأبلغ والله في الموعظة. قال: أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا نعيم بن الهمثم قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد عن الحجاج بن أرتاة قال: حدثني أبو مطر أن سمع سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا سمع الرعد والصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك { . قال: حدثنا زكريا الساجي قال: حدثنا الفضيل بن الحسن قال: حدثنا أبو النصر يحيى بن كثير صاحب البصري قال: حدثنا عبد الكريم قال: حدثنا عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذكرا { . قال: حدثنا أبو بكر بن معدان قال: حدثنا أبو عمير قال: حدثنا أشهب عن مالك عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أنه كان إذا سمع الرعد قطع الحديث وقال: هذا وعيد لأهل الأرض. قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا يحيى بن عبدة فيما قرأت عليه قلت حدثكم المرفئ . قال: حدثنا محمد بن راشد عن سليمان بن علي عن أبيه عن جده ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفر فاصبنا رعد وبرق. فقال لنا كعب رحمه الله تعالى من قال حين يسمع الرعد: سبحان من يسبح الله بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد قلنا: فقوفنا ثم لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض الطريق، فإذا بردة قد أصابت أنفه فآثرت رعدك: يا أمير المؤمنين ما هذا قال: بردة أصابت أنفي فآثرت في، فقلت إن كعبا رحمه الله تعالى قال لنا: من سمع الرعد فقال حين يسمع: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد قلنا فقوفنا قال: فهلا أعلمتمونا حتى نقوله. قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا أبو الربيع قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا صدقة بن خالد قال: حدثنا ابن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا قال: بلغني أنه من سمع الرعد فقال: سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الكريم بن أبي أمية رحمه الله تعالى قال: يستحب القول إذا صعقت الصاعقة: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك. قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا محمد بن مصعب وقرة بن حبيب عن عمرارة عن أبي نصر عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- { تكثر الصواعق في آخر الزمان حتى يقال: من صعق الليلة { . قال: حدثنا إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا عمرو بن جماد عن أسباط عن السدي -رحمه الله تعالى- قال: الصواعق نار. قال: حدثنا إبراهيم قال: حدثنا الأشج قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الحارثي عن جوير عن الضحاک { وَمِنْ آيَاتِهِ تَرْقِيكُمْ التَّرْقُوقًا وَطَمَعًا { قال: الخوف والصواعق، والطمع الغيت والودق والمطر. هذه الآيات والآثار تتكلم عن الرعد والبرق والصواعق قد ذكر الله ذلك في القرآن قال تعالى: { أَوْ كَمْصِبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَتُرْقُوقٌ { فذكر الظلمات التي تكون من آثار الصيب الذي هو السحب المتكاثفة. ورجع بربق. جعل ذلك مثلا للمنافقين. أخبر بأنه مثل منطلق عليهم أن مثلهم كمن هو في ظلمات وفي صيب يعني: سحب متكاثفة وفيها رعد وبرق وهم منتهون في هذه الظلمات إذ رعد البرق ينشأ ساعة مشوا ساعة مشوا خوفة، وإذا انطفأ البرق قوفوا لا يدرون ما أمامهم. فهذا البرق يضيء إضاءة ظاهرة، ولا يدري ما هذه الإضاءة، وهذا الرعد له صوت شديد بحيث أنه يخلق أو يوقظ من كان نائما ويستند الخوف منه عندما يكون فيه صوت شديد. أما الصواعق فإنها شهب تنزل من هذا السحاب، ثم تحرق من شاء الله تعالى، قال تعالى: { وَتُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَجَالِ { لما ذكر أنه ذكر الرعد قال: { وَتَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيقَتِهِ { أي: يسبحون. الرعد يسبح مع كونه جامدا لا ندري ما هو، ولكن داخل في كل شيء { وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا تَسْبِغُ بِحَمْدِهِ { فأخبر بأنه يسبح بحمده، والملائكة من خيفته أي: يسبحون خوفا من الله، وأنه يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء. إذا أصابت فإنها تحرق من أصابته وتحرقه كما هو مشاهد، ولا يدري ما هي إلا أنها شيء من الشهب الحادة، وقد تنزل على الإنسان فتشقه نصفين، ومع ذلك تنغرس في الأرض قد يحفرون عنها ويجدونها كشيء جديدة كهيبة قوية؛ يرسلها الله تعالى ولا يدري من أين تأتي. وفي آية أخرى يقول الله تعالى: { وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزْجَالًا فِيهَا مِنْ تَرْدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُضْرَعُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ بَكَادٌ سَتًّا يُزَفِّقُ يَدَهُنَّ بِالْأَبْصَارِ { وأخبر بأنه يرسل هذه بنشئ هو السحب حتى تكون كأنها جبال، كان السحاب المتكاثف جبل { وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مِزْجَالٍ فِيهَا مِنْ تَرْدٍ { أي: يشتمل ذلك السحب على برد كبير أو صغير؛ أحيانا يكون كبيرا حتى يكون كراس العبير، وأحيانا يكون صغيرا حتى يكون كعبر الغنم أو بعير الهم صغيرا. وأحيانا ينزل المطر متجمدا ينزل جامدا كما هو مشاهد في كثير من البلاد الباردة، إذا نزل تجمد على وجه الأرض من شدة البرد فيتراكم على الأرض ويبقى مدة شهر أو أشهر وهو تلوج على وجه الأرض. قد يكون هناك جبال من تلوج كما هو مشاهد؛ الذي أنشأ ذلك كله هو الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير. فالبرق ضياء مشاهد يشاهد في النهار ولكن ليس شديد الضوء، وأما في الليل فإنه قد يكون ضوءه شديدا ولذلك قال: { بَكَادٌ سَتًّا يُزَفِّقُ يَدَهُنَّ بِالْأَبْصَارِ { سناؤه يعني: سناؤه من شدته يكاد يخطف الأوصاف من شدة ضوءه. ما ندري ما سببه، جاء في هذه الآثار أن الرعد ملك يزجر السحاب بأمر الله تعالى فيكون من آثار زجره هذا الصوت الشديد، وجاء في بعض الروايات أن معه مخاريق يسوق بها السحاب، وأنه إذا ضرب هذا السحاب بهذا المخراق سمع له هذا الصوت الشديد الذي هو هذا الرعد الذي قد يصم الآذان من شدة صوته. وكذلك جاء في بعض الآثار أنه ريج، أن هذا الرعد ريج شديدة يكون من آثار صوتها للسحب الصوت الشديد الذي يسمع من بعيد ومن قريب. هكذا جاء في هذه الآثار أن الرعد ملك أو أن الرعد مخراق أو أن الرعد ريج، وأن البرق كما يقال: يعني أنه من آثار ضرب الملك لهذه السحب فينشغل منها هذا البرق إذا ضرب السحاب. في هذه الأزمنة يدعي المتعلمون المتعلمون أن الرعد هو أثر احتكاك السحاب بعضه ببعض؛ أن السحابين إذا تقابلتا واصطدمتا إحداهما بالأخرى فمن آثار هذا الاصطدام يحدث هذا الصوت. وكذلك يحدث هذا البرق الذي هو اشتغال إحداهما بالأخرى فيكون منه هذا الضوء يعني: ضوء البرق وصوت الرعد؛ لأنه من آثار تصادم السحابين إحداهما بالأخرى واحتكاك واحدة منهما بالأخرى. يمكن أن يكون ذلك علامة على هذا الصوت؛ الرعد والبرق أنه علامة عليه. وإلا فالآثار التي وردت في أنه صوت الملك أو صوت الريح أو صوت الملك بمخاريقه هو المعتمد وأن اصطدامه علامة على ذلك. يشاهد الذين يركبون الطائرات في الجو أن السحب تكون فوقهم، وتكون تحتهم، وقد تحرقها الطائرة؛ تكون مع وسط السحابة المتركمة المتكاثفة التي هي كالجبل ولا تحس الطائرة بنشيء؛ إنما هو غمام بعضه إلى بعض ولا يحسون بنشيء من الرطوبة التي تنزل من هذا المطر، وإذا اصطدموا؛ اصطدمت الطائرة بهذه السحب لم يظهر منها صوت مع شدة سيرها، لا يظهر لها هذا الصوت الذي هو صوت الرعد مع أنها تحرقها بسرعة وتصطدم فيها. وتشاهد ويشاهدون أيضا أن السحابين يتقابلان وتلتصق إحداهما بالأخرى ولا يسمع ذلك الصوت إنما يسمعه أهل الأرض. فعرف بذلك أن ما يقوله هؤلاء ليس مطابقا للواقع في كل حال، بل الأمر كخفي عليهم من ذلك. الله تعالى هو الذي يرسل هذه السحب وينشئها، ثم ينزل منها هذا المطر ويسمع منها هذا الصوت، ويرى منها هذا البرق، ولم ينصح سببه واضحا بالمشاهدة كالأخرى يشاهدون سببه فوقهم أو تحتهم أو من فوقهم. وكذلك أيضا إذا حرقوا هذه السحب بهذه الطائرات، لا يشاهدون أنها تتفرق وأنها تتبدد بل هي كما هي بحرقها الطيارون ولا يحسون بأنها تفرقت، ثم اجتمعت بعد ذلك دليل على أنها تسير كما يشاء الله تعالى إلى أن تأتي على المكان الذي قدر الله أنها تنزل فيه، أو تنزل فيه ماعها الذي تحمله. لا شك أيضا أن آيات الله تعالى عظيمة، وأن الإنسان عليه أن يعتبر بما يراه من هذه الآيات الكونية، وعليه أن يتفكر فيها. فنقول مثلا: إن هذه الصواعق كما ذكرها الذين غتروا عليها بعد ما حفرها أنها مثل قطعة الحديد الكهربائية التي لها لمعان، ثم إذا نزلت حرق ما أتت عليه. قد تنزل على وسط النخلة أعلى النخلة تقسم النخلة نصفين تشق النخلة إلى أن تكون نصفين، ثم بعد ذلك تنغرز في الأرض كما يشاء الله. كذلك أيضا قد تحرق بعض الأشخاص الذين تنزل عليهم إذا نزلت على أثنين واقفين قطعت هذا نصفين، وقطعت الآخر من تحت كما يشاء الله. لا شك أن هذا كله من آيات الله الكونية، وأن على الإنسان أن يصدق بآيات الله، وأن يستعبد من غضب الله. فإذا سمعنا الرعد نسبح كما تسبح الملائكة فنقول: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته؛ لأن الله أخبر بأن الرعد يسبح فحسن نسبح الذي يسبح الرعد بحمده. وإذا سمعنا هذه الصواعق نستعبد بالله ونقول: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك، فإن هذا من غضب الله يعني: إرسال هذه الصواعق وإرسال البرق وإرسال البرد الكبير أو الصغير وإرسال التلوج كلها من غضب الله؛ ينزلها على من عصاه أو ينزلها لحكمة ليكون في ذلك عبرة وموعظة للمتعلمين، فنعتر بذلك ونتخذ منها آيات بينات. لو تأملوا في آية واحدة منها لعمروا كمال قدرة الله، وعلموا عظمتة وجلاله وكبريائه وأنه خالق كل شيء؛ لا يفكر أحد على أن يخلق مثل خلقه كما في قوله تعالى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا يُدْرِي أَجْرَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ شَيْءٌ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُطْفَأُ بِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ مَاءٌ يَأْتِيهِمْ فَيَسْقُونَهُمْ أَوْ يَكْنُفُونَ بِهِمْ وَالسَّحَابُ الْمُبَارَكُ الَّذِي يَحْمِلُ فِيهِ الْمَوْتِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُحْسِنُونَ { . هذا هو خلق الله، وأروني ماذا خلق الذين من دونه يعني: ماذا خلق مخلوقين من دون الله تعالى؟! لا شيء يخلقونه، ولو اجتمعوا لا يخلقون ذرة أو لا يخلقون ذبا أو لا يخلقون بعوضة لا يقدرون على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يرسلوا الرياح إذا سكنت لم يقدروا، ولو اجتمعوا على أن يسكنوها إذا هاجت لم يقدروا، ولو اجتمعوا على أن ينشئوا سحبا لم يقدروا، ولا على أن يوقفوه ويردوه بكيدهم إذا أنشأه الله تعالى، كل ذلك يتصرف الخالق العظيم سبحانه وتعالى. وبالله تعالى نواصل القصة.